

دور القيادة الإدارية في تفعيل أدوات الإستشراف المستقبلي في مجال التعليم العالي

الأستاذ الدكتور: براهيم بن داود

الدكتور: حابس الفواعة

مقدمة:

يعد الاستشراف في حقل الدراسات القانونية أمراً في غاية الأهمية حيث أنه لا يمكن إصدار نص ما أو لا ئحة أو تشريع إلا بعد النظر في المئالات والعواقب، بل وقبل هذا النظر في كل الأبعاد الإقتصادية والإجتماعية وحتى النفسية منها، لأجل أن يكون النص مواكبا لواقع الحال، وأنجع التشريعات هي التي توازن وتوائم بين الواقع المعيش والمستقبل المنظور أي الأهداف المتوخاة وإلا وُلدت النصوص ميتة وكان محكوما عليها بالإعدام منذ لحظة صدورها.

ويعد التعليم الجامعي في حقل الدراسات القانونية أنموذجا من نماذج التعليم والتلقين والتدريب المعرفي في تحصيل المدركات العلمية وتطبيقها التطبيق الفعال والمثمر، ويعد العاملون بالمؤسسات التعليمية الجامعية وبمراكز البحوث المتخصصة من النُخب التي ينبغي أن تكون ضمن المثلث التحصيلي المعرفي المرتبط بثلاث نقاط إرتكاز متمثلة في الأستاذ الباحث، الطالب، والمجتمع، وسيكون بمقابل ذلك وكإسقاط شاقولي له مثلث آخر يتمثل في البرنامج التعليمي، السياسة التوجيهية التحفيزية، التواصل المتوازي في المناحي الإقتصادية والإجتماعية التطبيقية.

ويعد الأستاذ الحلقة الفاعلة في كل ذلك وهو المحرك للمولدات الطاقوية الأخرى، ولن يتحقق ذلك إلا بالتححرر في رسم الأهداف العلمية العملية الدقيقة والسعي لتحقيق هذه الأهداف، والخروج عن النمطية السلبية في الأداء التعليمي الجامعي المعتمد على سياسة التلقين والإملاء والبرامج التقليدية¹ سواء كان ذلك في العلوم التجريبية أو العلوم الإنسانية، وإننا على يقين من أن العلوم الانسانية والإجتماعية أكثر أهمية وفاعلية إذا اقترن ذلك بالتميز في الأداء²، لأن العلوم الانسانية تهتم بصناعة الانسان وبهندسة العقل، أما العلوم التقنية فهي تهتم بالآلة أكثر³.

ثم إن الأداء الذي نتكلم عنه في المؤسسات التعليمية بمجتمعاتنا يعاني من معوقات عديدة⁴:

- إشكالية الإعتناق بدل الإنعقاد والإقتناع (إشكالية التحرر لدى الأستاذ والطالب)

- إشكالية التمويل المتضائل للمؤسسات التعليمية الجامعية

- إشكالية الإنغلاق وعدم الانفتاح على الآخر أي الإنعزالية المعرفية عن المحيط الخارجي بسبب قلة

الاطلاع

- إشكالية الاستصغار الداخلي للمبادرات الفردية الرائدة

إن التجربة التي أقامتها العديد من الجامعات الكبرى في العالم والرائدة علميا وعمليا انطلقت من أهداف مرتسمة قبل سنوات، ويتم من خلالها التحرر الفكري وفق ثوابت معينة، وبالزيارة التي قادتنا للعديد من هذه الجامعات تجعل التوافق -فطريا- بين الإدارة الجامعية والأستاذ والطالب، ولا وجود لعقد الإنفصام من شخص لآخر، ولا وجود للنظرة المتباينة بين هؤلاء الشركاء الثلاثة فكلُّ يُكَمِّل الآخر وكرة التنس إن قذفها بحدة فسترجع له بذات القوة التي قذفها بها والعكس صحيح.

إن البرامج التعليمية ومستويات الإنتاج العلمي لا تتفك عن المقتضيات الإجتماعية والإقتصادية والتنمية والثقافية للمجتمع، والأصل أن الجامعة هي من تكون لها درجة التأثير الأقوى بحكم ما تضمه بين جنباتها من نخب علمية واعية ومدركة لكل الحراك الذي يحيط بها أو يدور في فلكها.

أولا:

أداء أقسام الدراسات العليا من الإقتناع إلى الإعتناق

- الجلي أن الجامعات المتفوقة قد خطت خطوات متقدمة جدا جراء عوامل عديدة أهمها:
 - إستشراف الأهداف وبناء تصورات واضحة وجليّة ورسم الخطط للوصول إليها.
 - النبوغ الفكري ومرونة التعامل وفق الضوابط والقواعد العامة للتعامل والمسطرة سلفا
 - وجود سياسة التحفيز والتشجيع، والدعم المستمر لأصحاب الإبداع والتفوق والتميز.
 - وجود أهداف مرتسمة لدى الأقسام والكليات والجامعات
 - الثقة بين أطراف حلقة التعليم الجامعي الطالب الأستاذ والإدارة الجامعية
 - الانفتاح على المحيط الخارجي وباقي الشركاء، مما يجعل للمؤسسة الجامعة موارد مالية خاصة عن طريق الاستشارات والأبحاث التي يقدمها الباحثون أو الطلاب المتمرسون- في مراحل ما بعد التدرج-
 - التبادل بين المؤسسات الجامعية الداخلية والأجنبية مما يؤدي إلى تلاقي الأفكار وتبادل الخبرات مع الإحتفاظ بحقوق الملكية الفكرية والأدبية لكل طرف.
 - التركيز على البعد الأسري والاجتماعي للباحثين خاصة المتميزين منهم وهذا بتغطية العديد من الصوارف الوقتية - أي ما يصرف أوقاتهم في غير المجال البحثي- بحيث يتم التكفل ببعض الجوانب تجنباً لشروء الذهن وإضاعة الوقت والجهد، خاصة وأن أوقات النخب العلمية تقدر دقائقها بالنفيس من الأموال.
- والملاحظ في مما سبق بأن هنالك مجالات للتفوق والإبداع التي جعلنا أكثر تأهيلا وتميزا حتى أكثر من الجامعات العالمية الكبرى، ولا مبالغة في ذلك.

ثانياً: مجالات التميز الإبداعي في إدارة أقسام الدراسات العليا

يمكن للإدارة المؤسسية أن تسهم عن طريق مبادراتها الشخصية والجماعية وإن لم تكن رسمية في العديد من الأنشطة خاصة ما تعلق منها بالمحاضرات التوجيهية، أو الإسهام ضمن اللجان العلمية والتنظيمية للمؤتمرات والملتقيات الوطنية والدولية، بينما إن كانت السلبية هي السمة البارزة فإن المهام الرسمية المتعلقة بالتدريس ورصد العلامات لا يتم القيام بها على أكمل وجه.

واليوم ما تفرضه علينا الثورة التكنولوجية ومجتمع المعرفة هو التحدي العلمي والتكنولوجي فوضعية البحث العلمي في كثير من الدول لا تؤهلنا لأن نجاري منطق العولمة المبني على التطورات التكنولوجية والعلمية المذهلة والتي هي في حقيقة الأمر نتيجة لاستثمارات ضخمة في التعلم والبحث العلمي، والاستثمار في التعليم والبحث العلمي هو الكفيل بإيجاد حلول لمشاكلنا وخاصة في المجال الاقتصادي فعلى سبيل المثال نجد أن أكثر من 90 من بحوث الماجستير تنتجه نحو إيجاد حلول للمشاكل الصناعية التي تواجهها الشركات في اليابان.⁵

والواقع العربي يقول إن نصيب العالم العربي من الثورة التكنولوجية الحالية لا يكاد يُذكر بل إن نسبة كبيرة من الشباب العربي لا يحسنون استخدام العديد من التكنولوجيات الحديثة للإعلام الآلي. فالثورة الرقمية أخذت منذ مدة تنتج العوالم الافتراضية كبديل عن العوامل الطبيعية، وهي وضعية لم تعد تتناسب مع فلسفة النمو والعقلنة التي حكمت المؤسسات الحداثية وعلى رأسها الجامعة، خاصة أمام تحديات مجتمع المعرفة، وتحدي الحفاظ على الهوية الوطنية. وبالتالي أضحي مجتمع المعلومات أهم التحديات لأجل جعل المعلومات من صميم البرامج الحكومية ومن أولويات التعاون الدولي.

وإذا ما أردنا الوقوف عند مكن وسبل التميز والابداع للمؤسسات التعليمية⁶ فنجد أن من سبلها مايلي:

- ضرورة رسم أهداف بشكل واضح وبصفة مسبقة لأنه كما يقول المبدأ "إذا فشلت في التخطيط فقد خططت للفشل" لأنه بانعدام خطة واضحة للوصول إلى هدف واضح يجعلنا أمام تقهقر وضبابية، بالإضافة إلى ارتباط هذه المؤسسات بالكم لا بالنوع، حيث أنه في حصيلة أدائها يعتمد القائمون عليها إلى تعداد عدد المتخرجين وعدد الأساتذة المؤطرين وعدد كل شيء عاقلاً كان أو غير عاقل.
- تأثير الأداء الايجابي لهذه الكليات والمؤسسات الجامعية على الإطار والنخب العلمية، حيث أنها إذا دخلت في بوتقة انعدام الأهداف فإنه لا يعدو الباحث والأستاذ أن يكون موظفاً إدارياً يتولى مهمة تلقين الطلبة دروساً أكل الدهر عليها وشرب، ثم تقييم الطالب شكلياً بامتحانات أكثر نمطية، وهكذا دواليك، وما يتضح أيضاً من خلال انعدام المجالات العلمية المتخصصة، انعدام الانتاج العلمي الأكاديمي، انعدام الدراسات التحليلية والميدانية في مجالات العلوم الاجتماعية والانسانية، انعدام الدراسات الاستشرافية والمستقبلية في حقل العلوم الاجتماعية والانسانية.

- ضرورة إستيضاح خطة عمل الطالب وارتباطها بالنسقية العامة للمؤسسة التعليمية وعدم تقييده بالحصول على المقاييس عن طريق التلقين وجهده في الحصول على أرفع العلامات بما يؤهله للارتقاء، و اشراك أيضا الطالب في انتقاء واختيار ما يلائمه من المناهج.

- أهم رصد ميزانية بحثية تؤدي للارتقاء بالمستوى التعليمي للطالب والمؤسسة التعليمية على حد سواء⁷.

- إيجاد منهجية واضحة ومتسقة بين وزارات التربية والتعليم العالي حيث أن الأداء مرتبط بالنظرية التراكمية والتي تفتقدها الدول الإسلامية والعربية، إذ نجد فجوة كبيرة جدا بين قطاعي التربية والتعليم العالي، إذ من الواجب أن يكون اختيار التوجه التخصصي الاجتماعي والانساني واضحا وبارزا أثناء فترات التعليم المتوسط أو الثانوي على الأقل، خاصة وأن مقتضيات الحال وضرورات العصر مرتبطة أكثر بالتخصص الدقيق وهذا ما دأبت عليه الدول المتطورة منذ عقود من الزمن إذ يتم رصد الكفاءات وشحذ الابداعات في مراحل متقدمة وتطويرها إلى ان يتم الوصول إلى المرحلة الجامعية.

- ضرورة إيجاد ترابط بين قطاع التعليم العالي وباقي الادارات القطاعية الأخرى، حيث نجد عدم وجود أي تنسيق بين الأبحاث الجامعية -رغم قلتها- وكذا الأطروحات والأبحاث مع الجهات المتخصصة كقطاع البيئة قطاع مديريات الرعاية الاجتماعية، قطاع العدالة، وغيرها من القطاعات الأخرى حيث يتم إعداد البحوث والرسائل وتبقى قيد رفوف المكتبات دون أي فائدة وأي جدوى. وكما كان يقال إذا عُرف السبب بطل العجب، فهذه أهم الأسباب في تخلف وتفقر أداء كليات العلوم الاجتماعية والانسانية التي من المفروض أن تصنع العقل العربي المسلم المؤمن بعقيدته ودوره إزاء بلده وإزاء أمته وإزاء الانسانية قاطبة وستكون معالجة المشاكل السابقة بحزم وجدية طريقا للخروج من النمطية السلبية للكليات الاجتماعية والانسانية.

تتمثل أهم الخطوات للخروج من مظاهر النمطية السلبية السالف ذكرها فيما يأتي:

- اعتماد أنظمة تتوافق مع الخصائص الحضارية والثقافية لكل أمة.
- ايجاد آليات لربط قطاع التعليم العالي الجامعي بباقي القطاعات الاخرى خاصة ايجاد الحلقة المفقودة بين قطاع التعليم الجامعي وقطاع التربية.
- إعادة النظر في الميزانيات المرسدة للمؤسسات وكليات العلوم الاجتماعية والانسانية.
- تحسين الوضع الاجتماعي للباحث في هذه الكليات مما يضمن له وضعاً اجتماعياً يؤهله للتفرغ لأبحاثه ودراساته.
- ضرورة الخروج من النظرية الكمية إلى النظرية الكيفية النوعية، أي الاهتمام بجدية الاداء الجامعي لكليات العلوم الاجتماعية والانسانية وعدم الوقوف في اعداد حصيللة هذا الأداء على وجود أرقام بعينها.

ثانيا : الدلالة الاصطلاحية للإستشراف والنظر في المنالآت

لقد قامت الشريعة الإسلامية على أسس واضحة ومعالم بيّنة هدفها الوصول بالإنسان إلى مدارج السالكين، تحقيقا لكمالية المجتمع وسعادته في أموره دينه ودنياه، ولن يتحقق هذا إلا بالنظرة الثاقبة والإدارة السديدة والتخطيط القويم والرؤيا الصادقة، وقد كانت سيرته صلى الله عليه وسلم عامرة ومن بعدها سير الخلفاء الراشدين والصحابه الأكرمين رضي الله عنهم، بكل ما يعكس إستشراف المستقبل والنظرة لأعالي الأمور بما يحقق المبتغى؛ فقد كانت بداية المجتمع المدني قائمة على التخطيط ورسم معالم السير التي ينبغي أن تتبّع وتُحتذى، وأكد النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته من بعده على أهمية اتباع الصراط السوي المستقيم وكلنا يدرك أن الصراط المستقيم هو أقرب طريق بين نقطة الإنطلاق ونقطة الهدف⁸ قال الله تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين"، فالطريق السوي لا يحيد عن المسار السوي فلا ينحرف يمينا ولا شمالا لا يتبّع طريق النصارى ولا طريق اليهود". وقال صلى الله عليه وسلم "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"⁹.

01/في تأصيل كلمة استشراف:

الاستشراف في اللغة: هي من مصدر شرف وتعني العلو والارتفاع فالشرف العلو والشريف الرجل العالي، ويقال شُرُفة المنزل وهي التي يطلع من خلالها على ما هو موجود خارج البيت وكل ما يستقبله، أما قولنا يستشرف الشيء فتعني إذا رفع بصره ينظر إليه¹⁰ وقد جاء في حديث أبي طلحة رضي الله عنه "أنه كان حسن الرمي فكان إذا رمى استشرفه النبي صلى الله عليه وسلم لينظر إلى مواقع نبّله".

ومن الاستشراف عند العرب أن تضع يدك على حاجبك وتتنظر ويرجع إلى الشرف والعلو¹¹. وجاء في حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة استشرفه الناس فقالوا: قدم رسول الله، قال فخرجت فيمن خرج، فلما رأيت وجهه، عرفت أنه ليس بوجه كذاب، وكان أول ما سمعته يقول: يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام"¹².

ووردت كلمة استشراف في أحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم منها حديث حذيفة رضي الله عنه قال: "جاء أهل نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا ابعث لنا رجلا أمينا، فقال: لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين، فاستشرف لها الناس..."¹³ قال ابن حجر "أي تطلعوا إليها ورغبوا فيها".

وهناك عدة تعاريف معاصرة لاستشراف المستقبل من بينها "أنه جهد علمي منظم يرمي إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة عبر مدة زمنية معينة تمتد لأكثر من عشرين عاما وذلك عن طريق التركيز على المتغيرات التي يمكن تغييرها بواسطة القرارات أو التي قد تتغير بفعل أحداث غير مؤكدة" ومنها تعريف الدراسات المستقبلية بأنها "فن وعلم يدرس من خلاله الباحث كيف

يعالج الواقع المعاصر بناء على مآلات ممكنة ومستقبلات تراء، وكذلك هي نوع من التخمين المبني على دراسة الماضي والحاضر لما سيقع في الثلاثين سنة المقبلة¹⁴.

وقد تم تعريف علم المستقبل اجمالاً بأنه "فن التفكير في الاتجاهات المستقبلية المحتملة ومحاولة استكشافها والسعي لقراءة عواقبها ورصد تأثيرها على القرار، في مجالات الحياة المختلفة على المدى القريب أو المتوسط أو البعيد، وذلك من خلال تحليل معطيات الواقع المعاصر، وفهم سنن التغيير".¹⁵

عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك"¹⁶ فهذه إيجابية استشرافية احتياطية وتحذير للأمة من المآلات المستقبلية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرباً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر".

02/ الدلالة المعرفية لاصطلاح الإدارة:

الإدارة كعلم حديث لم تُعرف مفاهيمه إلا حديثاً وإن كان معروفاً في أدواته وفي أساليب إدارة الدول والمجتمعات منذ سالف الأزمنة.¹⁷

ولعل جل الدارسين لعلم الإدارة سلطوا الضوء على النظريات الغربية نقداً وتحليلاً دون الإشارة والإشارة لما عرفه المسلمون منذ قرون من الزمن قبل الغرب، خاصة ما تعلق بالأحكام السلطانية كما تم التعبير عنه وما كثر فيه التأليف منذ العصر العباسي الأول.¹⁸

وقد تباينت تعاريف الإدارة وهي تتلخص في كونها علاقات بين أفراد مختلفين لإنجاز أعمال محددة، ورأى آخرون بأنها التنبؤ والتخطيط والتنظيم والقيادة والتنسيق والرقابة، ويرى البعض بأنها وظيفة تسعى إلى تحقيق الأهداف المشتركة بالموارد المتاحة ويرى آخرون أنها وظيفة من شأنها أداء أعمال عن طريق أفراد آخرين وتوجيه جهود هؤلاء نحو هدف مشترك.¹⁹

أما عن التأليف في مجال الإدارة النبوية فأجل ما كُتب "تخريج الدلالات الشرعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية" للخزاعي التلمساني²⁰، بالإضافة إلى ما كتب تحت مسمى الأحكام السلطانية²¹ أو أحكام السياسية الشرعية ونحوها²² والأعمال الإدارية تحتاج لأدوات رئيسية وهي:

- التخطيط
- التنظيم
- التوجيه
- الرقابة

وهذا أمر لازم في كل عملية إدارية عامة وخاصة ولا بد لها من روح نابضة في داخلها وهي روح الضمير الحي والنية الصادقة والعزيمة الصلبة.

03/ مفهوم التخطيط:

هو من الخط أي الطريقة المستطيلة في الشيء والجمع خطوط وقد جمعه العجاج على أخطاط.. والتخطيط التسطير والتهديب²³.

ويقال أيضا فلان يخط في الأرض إذا كان يفكر في أمره ويدبره، وثوب مخطط وكساء مخطط أي فيه خطوط.

وعرف علماء الإدارة التخطيط بكونه: الوظيفة الإدارية الأولى للقيام بأي نشاط من الأنشطة ويتطلب به نجاح تحليل البيانات عن الماضي واتخاذ قرار في الحاضر وتقييم المستقبل²⁴.

ويمكن القول أن التخطيط هو الاستعداد في الحاضر لما يواجهه الإنسان في المستقبل والسير على طريقة ونمط خاص ومدرّس لتحقيق أهداف حاضرة ومستقبلية²⁵.

وكان صلى الله عليه وسلم يمثل القدوة الحسنة وأ نموذج القائد المتكامل الرفيق بصاحبته الموجه لهم، وهم بدورهم كانوا هداة مهديين قال تعالى: "إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه" سورة النور الآية 62. فكان التنظيم والاستئذان وترتيب الأولويات أهم مقومات البناء المجتمعي في عهده صلى الله عليه وسلم²⁶.

ولما بايع الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية طلب منهم أن يخرجوا له نقباء من بينهم يكونوا مسؤولين عن الآخرين، لتلقي الأوامر ومتابعة التنفيذ كل فيما يخصه، كما كان صلى الله عليه وسلم حريصا على الترتيب والتنظيم باستمرار وكانت أوامره في هذا الصدد جلية بيّنة في أمور العبادة وكذا أمور القيادة والتنظيم²⁷.

بل وحث صلى الله عليه وسلم على أصول القيادة والتنظيم فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم: لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم".

بل استشرّف أيضا أمور القيادة وما قد يطرأ في غزوة مؤتة "استخلف صلى الله عليه وسلم على جيش مؤتة زيد بن حارثة وقال فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة فإن أصيب فليرتض المسلمون رجلا فتقدم زيد فقتل فأخذ الراية جعفر وتقدم فقتل فأخذ الراية عبد الله بن رواحة فتقدم فقتل فاختار المسلمون بعده خالد بن الوليد". بل وفي هذه دليل على تعليم المسلمين كيفية اختيار قائدهم وحتى لا تبقى الأمور دون توجيه وريادة.

أ/ الخبرة: كان صلى الله عليه وسلم يعطي للخبرة الأهمية القصوى، واهتم بتنميتها بشتى أضرب الحياة العسكرية والمدنية ففي مجال القتال يستشير أصحاب الخبرة العسكرية، وفي السفر يستعين بالعارف بالشعاب والطرق والمسالك، وفي الكتابة يختار الأكثر دراية وخبرة، وفي شؤون السفارة يبعث أهل المعرفة بالمجتمعات والأماكن التي يفدون إليها²⁸.

وكان صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه فيما يحصل من الأمور حتى نزلت سورة الشورى لتأكيد هذا الركن الركين قال تعالى: "والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون" الشورى الآية 38. كما قال تعالى: "فبما رحمة من الله لنت لهم.... واستغفر لهم وشاورهم في الأمر..". آل عمران الآية 159.

ب/ **فقه الأولويات:** تُعد الأولويات وترتيبها بابا رئيسا في الشريعة الإسلامية، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأولويات وأهمية احترامها فكان يرسل موظفيه ويحدد لهم الأعمال الأولى فالأولى فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن فقال ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم".²⁹

وفي مجابهة العدو كانت هنالك أولوية وتدرج للأقرب والأخطر وهم قريش ثم اليهود حينما غدروا بالمسلمين ثم الفرس والروم كمرحلة موالية وحتى لا تتعدد جبهات الصراع. وحتى في جوانب الطاعة والصدقة هنالك سلم أولويات يراعي فيه ذوو القربى ثم الذين يلونهم.³⁰

وحدث صلى الله عليه وسلم على العمل والجهد بل واتقان العمل قال صلى الله عليه وسلم "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه" أي درجة التفاني والإحسان والابداع وليس مجرد الأداء.

وفي مجال التشجيع على العمل والاستثمار قال صلى الله عليه وسلم: "من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر وما أكلت العانية منها فله منها صدقة"³¹، كما شجع على الغراسة والزراعة فقال صلى الله عليه وسلم "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"³². بل وفي مجال الغراسة قال صلى الله عليه وسلم "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا"³³.

ج/ **إدارة الأزمات ومجابهتها:** واجهت المصطفى صلى الله عليه وسلم العديد من الأزمات والحالات الطارئة التي استدعت منه تصرفات خاصة وجهود مميزة عاجلة للتصدي لتلك الحوادث، ومن ذلك ما حصل بغزوة أحد وغزوة الأحزاب التي وصفها الله عز وجل "إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا" الأحزاب الآية 10.

فقام صلى الله عليه وسلم باتخاذ كل الاجراءات اللازمة والسبل الكفيلة للتصدي للأزمة ومجابهتها وكان النصر مؤزرا بحول الله وقوته، وفي غزوة تبوك حصلت أزمة مالية فحشد صلى الله عليه وسلم المسلمين للصدقة تجاوزا للأزمة وحلا للمشكلة، كما تصدى صلوات ربي وسلامه عليه في آخر حياته لأزمة المرتدين أتباع أسود العنسي في اليمن فأدار ولاته من المدينة حتى تصدوا للأزمة وتغلبوا عليها بحول الله وقوته. كما أدار عملية التصدي لمسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة باليمامة.³⁴

د/ الرقابة الإدارية: رعاية لمصالح الناس كان للرقابة دورها الكبير في تقويم سلوك المسلم، وقد ركزت الشريعة الإسلامية على الرقابة الذاتية التي هي أساس كل رقابة، ولا يمنع ذلك من الرقابة على الولاة والعمال في أدائهم لأعمالهم حتى يكافأ المحسن ويُقَوَّم المسيء ويُسأل، وهذا حديث ابن للهيعة؟ الذي بعثه صلى الله عليه وسلم لجمع الزكاة فأتى بها وجاء بأموال له يقودها فغضب صلى الله عليه وسلم منه وقال "قها! جلست في بيت أبيك أو أمك فتأتيتك هديتك إن كنت صادقاً".

ثالثاً: قيمة العمل وقوام التخطيط واستشراف المستقبل:

ما من شك في أن العمل قيمة إنسانية وحضارية كرسها الإسلام وجعلها أساساً قوياً في بناء المجتمع الإسلامي، وجعل العمل من مكونات الإيمان سواء كان في شكله الحركي العادي كإمالة الأذى أو في شكله الموسع.

فالتأكيد على قيمة العمل دلالة على دعم المستقبل بل التأكيد على الإتقان في العمل تأكيد على جمالية المستقبل "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" فالمسلم يُعوِّد الإسلام على أن يعمل الآن ليحصد غداً، ونوح عليه السلام كم مكث من الزمن يصنع سفينة لما سيحصل ولم ينتظر أن تكون السفينة في ذاتها معجزة وإنما تم تكريس العمل كقيمة إنسانية، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف".

وتأتي نظرية المآلات في الأعمال منذ الشاطبي الذي أرسى البعد التنظيري لأهمية نظرية المآلات، هذه الأهمية في حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح وهو مثال من أمثلة متعددة برفض اقتراح عمر بن الخطاب بقتل المنافقين خوفاً من أن يقول الناس إن محمد يقتل أصحابه، وما يترتب عن ذلك من ضرر على الدين، وبهذا فالنظر في المآلات ليست بالمندوبة فقط بل واجبة في كثير من الأحيان. بل وفي النظر لمثال الإنسان بعد وفاته أليس عين الإستشراف في الجمع بين مطلب أخروي لا ينفك عن ضرورة دنيوية في حديثه صلى الله عليه وسلم "ينقطع عمل ابن آدم إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به أو صدقة جارية"؛ وهي أرقى صورة للجمع بين مقتضيات الحال ومتطلبات المآل.

01/ الإيجابية واستشراف المستقبل:³⁵ للنظرة الإيجابية دورها الكبير في تقويم سلوك الإنسان وتوجه المجتمع، حيث ينبعث الأمل، ومنه تستمد الأمم والمجتمعات القدرة على الصمود والتحدي والمضي في العمل وإتقان الحرفة والخروج من مرحلة الذل والهوان، هذه النظرة الإيجابية التي ينبغي أن تبقى مستمرة طالما أن الله موجود ودائم الوجود قال تعالى "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم" الزمر الآية 53. بل أجل من هذا أن يبذلهم السيئات بالحسنات قال عز وجل "إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً" الفرقان، الآية 77. وبشأن المجتمعات والأمم يعطيهم الله عز وجل بشارة ووعداً كله تفاؤل وإيجابية قال تعالى "وعد الله الذين ءامنوا

وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هو الفاسقون". النور الآية 55.

وقال عز وجل أيضا "ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون" يوسف الآية 87. وقال صلى الله عليه وسلم "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه".³⁶

وتأتي السنة النبوية لرفع سقف التطلع وبث روح المبادرة والمبادرة قال صلى الله عليه وسلم "أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان".³⁷

وبهذا فإن تبني التفكير الإيجابي وفق ما أقره علماء النفس والاجتماع أن تبني التفكير الإيجابي ضرورة لا غنى عنها للإنسان، حتى يتمكن من المحافظة على توازنه النفسي وسلامة قواه العقلية وصحته الجسمية، فالثابت والجلي أن صاحب التفكير الإيجابي إنسان حيوي نشط متفاعل مبتسم في هذه الحياة مفعم بالقوة والتفاعل يتحمل مصاعب الحياة ويتجاوزها بل يصنع منها دافعا متجدد للانطلاق من جديد.³⁸

ويقوم التفكير الإيجابي الذي تتبثق منه إيجابية استشراف المستقبل من مرتكزات ثلاثة وهي النظرة الإيجابية للذات والنظرة الإيجابية للمجتمع والنظرة الإيجابية للحياة³⁹، ونُظِف لها حسن الظن بالله في كل ذلك فالمؤمن قلبه مفعم بالإيمان لا يرجو إلا خيرا ولا يظن بالله إلا خيرا.

02/إستشراف المستقبل وتفادي الأزمات: ولعل ما تعيشه البشرية اليوم من أمراض وأسقام نتيجةً للبعد المادي المسيطر القائم على أفكار سلبية بحصول المجاعة وتوقع الأمراض، وتفشي البطالة، ونقص الموارد وهذا ما يجعل الإنسان يعيش حاضرا مريرا مليئا بالنكد والضنك، فكيف لهذا أن يحيا حياة مستقبلية مزدهرة إن لم يتحرر من تلك القيود السلبية المتركمة في ذهنه.

ومن أجمل ما أورده الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله في عيون البصائر، بعدما رأى تلك السلبية القاتلة في المجتمعات العربية والإسلامية أيام الاستعمار حيث قال "وأفكر في قومي المسلمين فأجدهم قد ورثوا من الدين قشورا بلا لباب وألفاظا بلا معان ثم عمدوا إلى روحه فأزهاقوها بالتعطيل وإلى زواجره فأزهاقوها بالتأويل، وإلى هدايته الخالصة فموهوها بالتضليل، وإلى وحدته افتتنا بماضيهم، وذهلوا عن أنفسهم اعتمادا على أوليهم، ولم يحفلوا بمستقبلهم لأنه - زعموا - غيب - والغيب لله، وصدق الله وكذبوا فما كانت أعمال محمد وأصحابه إلا للمستقبل، وما غرسه محمد شجرة الإسلام ليأكل هو وأصحابه ثمارها، ولكن زرع الأولون، ليحني الآخرون".⁴⁰

ولولا النظرة الإيجابية لما استطاعت العديد من الدول من النهوض مثل اليابان التي أنهكتها القنابل النووية وفتكت بها، أو ألمانيا التي دُمِّر اقتصادها ومنشأتها الحيوية وتم حصارها بشكل فضيع غير

أنها استعادت مجدها وصارت من أقوى اقتصادات العالم في ظرف وجيز، ويذكر مالك بن نبي في ذلك أن سر إعادة البعث الألماني ونهوضها المتجدد أن ألمانيا انهزمت في الحرب وسقط فيها عالم الأشياء بينما بقي عالم الأفكار سليماً.

خاتمة:

من خلال ما سبق نستشف بأن التعليم العالي هو الأولى باستخدام أدوات الاستشراف لكونه المنارة التي تُشع مجالات البحث والتطور والإبداع، وهذا موكول للقيادة الإدارية في هذا المجال على أن تعكف على رسم خطى واضحة لأجل الوصول إلى المبتغى.

ولعل أهم ما سنوصي به ضمن هذه الدراسة ما يلي:

- توحيد الاستراتيجيات والأهداف والمفاهيم ودعم حركة البحث العلمي، وكذا ضرورة توحيد العمل للحد من اتساع الفجوة الرقمية بين المؤسسات الجامعية للدول العربية وغيرها من الدول، مع أولوية تطوير المناهج التعليمية على كل الأصعدة والمستويات، ودعم التعاون المتبادل فيما بينها حتى تحظى بمستوى محترم في التصنيف العالمي .

- الأخذ بعين الاعتبار أولوية التكوين والتدريب المستمر لأساتذة الجامعات في مجال العلوم الاجتماعية والانسانية والتكنولوجيات الحديثة تجاوزاً للأمية بمفهومها الجديد ومواكبةً للمستجدات في عالم تقنيات الاتصال الحديثة، بالإضافة إلى ضرورة الاهتمام والتأكيد على استغلال هذه التقنيات الاتصالية الحديثة في الميادين والمجالات النافعة واستغلالها الاستغلال الأمثل والأنجع حتى لا تكون معول هدم لقيمنا ومكتسباتنا الحضارية النبيلة.

- مع أولوية تحقيق متطلبات الأمن الفكري الذي يعد لقاحاً واقياً لشبابنا من المضار التي تنجم عن المد المعلوماتي العولمي، وحتى تصبح المعلوماتية في حد ذاتها أداة لإدارة الأزمات المعرفية في مؤسساتنا الجامعية التي تضم نخبا علمية موكول إليها الاضطلاع بمهمة تكوين الأجيال تكويناً متكاملًا يضمن لهم التمييز بين الضار والنافع بين القبيح والمليح، وهذا الامر موكول بالدرجة الأولى لكليات العلوم الاجتماعية والانسانية.

- ويكون من الواجب زيادة نسبة الاستثمار في ميدان العلوم الاجتماعية والانسانية بالتنسيق مع الفواعل والقطاعات الخارجية.

- ضرورة محو الأمية المعلوماتية ما يعني التحكم في تكنولوجيات المعلومات وتوفير المناخ الملائم للباحث العربي والمسلم، وكذا أهمية التنسيق بين الباحثين وأصحاب القرار، وإيجاد مصادر تمويل كافية ومستمرة لتطوير الأبحاث العلمية وتفعيلها.

¹ بن داود براهيم، النمطية السلبية لكليات العلوم الاجتماعية والإنسانية بالعالم الإسلامي وآليات التطوير، مداخلة بالمؤتمر الدولي الأول لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، لندن، 28-30 ماي 2012.

² يقوم العلم على التجديد والإبداع والإخلاص في آن واحد، وبالإطلاع على ما يعيشه العالم العربي والإسلامي نجد نوعا من الفتور واللامبالاة التلقائية، والأدهى من ذلك أن نجد هذا الفتور وتلك المبالاة في أوساط جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية التي من المفروض هي المعول عليها في قيادة المجتمع نحو جادة الصواب.

وإذا ما أردنا الحديث عن المعاهد والكليات المتخصصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية نجدها في الغالب تميل إلى النمطية السلبية في الإلقاء والإملاء، وكل السبل التقليدية للتلقين العلمي، مع أن المفروض أن هذه العلوم أولى وأهم من العلوم التطبيقية والدقيقة لأن العلوم الاجتماعية والإنسانية هي التي تجعل من الفرد إنسانا واعيا مبدعا ومفكرا، يحس بمدى المسؤولية إزاء مجتمعه وأمته.

³ لا زالت كليات العلوم التطبيقية والتقنية بالبلدان العبرية عموما والجزائر تحديدا تدرس الدارة الكهربائية السالبة والموجبة وكيفية فتح وغلق التيار الكهربائي، حيث لا زلنا ضمن النمطية السلبية التي تفرض علينا الاستهلاك التقني والإلكتروني، والأدهى والأمر أن يطال هذا الركود كليات وجامعات العلوم الاجتماعية والإنسانية، التي ترتبط بالفكر والعقل والشعور بالانتماء، لأن الابتكار والاختراع يحتاج إلى الفكر وفلسفة واضحة تنتشل صاحبها من غياهب الركود إلى جلاء البحث العلمي المتأصل.

⁴ هنالك دعامتان إذا ما تم استيعابهما حتما سنخرج من دائرة الركود إلى دائرة الحراك العلمي الخلاق، هاتان الدعامتان هما السبب في كل نهضة، ولا يُمنح وصف النهضة أو النهوض إلا لمن كان نائما أو قابعا في مكانه؛ تتمثل الدعامة الأولى في حل المركب "لماذا" والثانية في استطلاع المجرأ "كيف".

وعقيدتنا في التغيير أن يكون مُنطلق التغيير نحن قال عز وجل "إن الله لا يُغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" الرعد، الآية 113.

⁵ نايل ابراهيم عيد، 1995، جرائم الارهاب ، السياسة الجنائية في مجابهة الارهاب في القانونين المصري والفرنسي ، دار النهضة العربية ، القاهرة. ص05.

⁶ لا يعني ذلك عدم وجود نماذج رائدة في عالمنا العربي والإسلامي فبزيارتنا لبعض الدول نجد أنموذجا جيدا للجامعة الإسلامية بماليزيا، جامعة الشارقة، جامعة الإمارات، جامعة طيبة بالمدينة

المنورة ، وجامعة الملك سعود بالرياض بالمملكة العربية السعودية، ورغم هذا فهي ما زالت في مراتب نأمل أن ترتقي إلى أفضل ما هي عليه.

⁷ على محمد ، 2002، الاتصال الدولي والتكنولوجيا الحديثة ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ص 16.

⁸ الاطلاع على الكتاب القيم لابن القيم رحمه الله، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،

⁹ الراوي: العرباض بن سارية المحدث: الترمذي - المصدر: سنن الترمذي - الصفحة أو الرقم: 2676

¹⁰ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، ج 03، ص 263.

¹¹ الذوايدي قوميدي، الاستشراف الإيجابي للمستقبل في ضوء السنة النبوية، بحث ضمن فعاليات الندوة الدولية العلمية الخامسة الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية، عُقدت في رحاب كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي 19-20 أبريل 2011م، ص 300.

¹² مسند الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الليل، رقم 1501، ج 02 ص 915.

¹³ أخرج البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ص 359.

¹⁴ ص 177. محمد بشير البشير، أهمية استشراف المستقبل وضوابطه دراسة تأصيلية في ضوء السنة النبوية،

¹⁵ محمد بشير البشير، أهمية استشراف المستقبل وضوابطه دراسة تأصيلية في ضوء السنة النبوية، ص 178.

¹⁶ المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الرقائق، رقم 7846.

¹⁷ أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، عبد العزيز بن ابراهيم العمري، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1426، ص 31.

¹⁸ عبد العزيز العمري، نفس المرجع، ص 31

¹⁹ زكي محمود، أساسيات الإدارة، ط 03، ذات السلاسل، الكويت، 1414 هـ.

نقلا عن عبد العزيز العمري، المرجع السابق، ص 32.

²⁰ أبو الحسن علي بن محمد التلمساني، تخريج الدلالات السمعية على ماكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق أحمد محمود أبو سلامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1401 هـ نقلا عن عبد العزيز العمري، المرجع السابق ، ص 35.

²¹ الأحكام السلطانية الماوردي، تهميش

- ²²السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية
- ²³لسان العرب لابن منظور، ج 7، ص 287
- ²⁴عبد العزيز العمري ، التخطيط مرجع سابق ص 38
- ²⁵عبد العزيز العمري، ص 38
- ²⁶عبد العزيز العمري، ص 40.
- ²⁷العمري، ص 40.
- ²⁸العمري، ص 53
- ²⁹صحيح البخاري، رقم الحديث 1308.
- ³⁰العمري، ص 70
- ³¹سنن الدارمي، ج 02، ص 267
- ³²صحيح البخاري، ج 03، ص 66.
- ³³صحيح البخاري .
- ³⁴العمري، ص 77.
- ³⁵محمد زرمان، النظرة الايجابية للمستقبل في السنة النبوية وأثرها في تقدم الفرد والمجتمع، بحث ضمن فعاليات الندوة الدولية العلمية الخامسة الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية، عٌقدت في رحاب كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي 19-20 أبريل 2011 م، ص 353.
- ³⁶السنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي رقم، 3401.
- ³⁷صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، رقم 4816.
- ³⁸محمد زرمان، النظرة الايجابية للمستقبل في السنة النبوية وأثرها في تقدم الفرد والمجتمع، ص 363
- ³⁹محمد زرمان، النظرة الايجابية للمستقبل في السنة النبوية وأثرها في تقدم الفرد والمجتمع، ص 363
- ⁴⁰عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، محمد البشير الابراهيمي، ص 547،
- أورده محمد زرمان، النظرة الايجابية للمستقبل في السنة النبوية وأثرها في تقدم الفرد والمجتمع، ص 367